مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: معاني استفعل في القرآن الكريم
اسم الكاتب: د. ملاذ زليخة
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/8778
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 00:26 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

معاني استفعل في القرآن الكريم

د. ملاذ زليخة
كلية الآداب - جامعة دمشق
دمشق - الجمهورية العربية السورية

تاريخ الاستلام 2010-12-12 **تاريخ القبول 2011-04-19**

الملخص
تناول البحث قضية مهمة تتعلق بمعاني صيغة "استفعل" في القرآن الكريم، فبين أن من معانيها ما هو واضح الدلالة كالطلب، ومنها ما هو خفي الدلالة يحتاج إلى اجتهاد وتأمل لاستنباطه، وهو ما أطلق عليه النحاة والمفسرون بالإغناء عن المجرد، أو بمعنى المجرد. وأثبت البحث أن الزيادة التي تكون بمعنى المجرد يمكن أن تنطبق على كلام البشر، لكن لا يمكن أن تنطبق على كلام الله جل وعلا؛ لأن الزيادة في القرآن لا بد أن تكون لفائدة لأن القرآن معجز، وأن قاعدة "الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى" لا بد أن تطرد على كتاب الله اطرادًا شاملًا لكل مفرداته وتراكيبه، وأن الأمر يحتاج إلى مزيد من التفكر والتأمل والاجتهاد في استنباط تلك المعاني واستجلاء أسرارها الإعجازية.

مقدمـة:

إن صيغة استفعل هي من الأوزان المزيدة على الثلاثي بثلاثة أحرف، وقد وردت في القرآن أفعال كثيرة على هذا الوزن تستدعي الوقوف بعض الشيء والتأمل في معانيها الإعجازية التي أضفتها هذه الأحرف الثلاثة الزائدة على الفعل الأصلي، ولا شك أن البيان الإلهي المعجز لن يجد فيه الباحث المتأمل حرفًا زائدًا بلا فائدة، ذلك لأن القرآن معجز في كل حرف من حروفه، فلا بد من أن يشمل الإعجاز معانيه، ومن هنا استنبط العلماء القاعدة اللغوية المعروفة: " الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى ".

ولعل هذه القاعدة قد لا تطرد على كلام البشر مهما بلغ بهم العلم، أما كلام الحق جل وعلا فلا بد من أن تطرد عليه اطرادًا شاملًا لكل مفرداته وتراكيبه، من هنا كان على كل باحث غيور على اللغة العربية وعلى كتابها المبين أن يعيد النظر ويدقق البحث في معاني الأحرف الزائدة في أبنية الأفعال في القرآن ليستوحي المعنى الإعجازي الذي أضيف على أصل الفعل، ولا بد من التنبيه هنا على أن المفسرين تجاوزوا الوقوف على بعض معاني صيغة استفعل التي وردت في القرآن فلم يتأملوا معانيها الإعجازية مكتفين بما نثره علماء اللغة في كتبهم، جاعلين من معاني هذه الصيغة عامة على كل المواضع التي وردت في القرآن، ولا أخفي أن بعض العلماء حاولوا أن يتلمسوا معاني جديدة مصطبغة بصبغة خاصة تخدم السياق الإعجازي الذي وردت فيه، فاضطرب تفسيرهم لبعض معاني الزيادة في استفعل مثل أبي حيان، وبعضهم جعل معنى زيادة الهمزة والسين والتاء في الصيغ التي عدها من سبقه بمعنى المجرد واحدة أنى وردت فلم يزد على معنى المبالغة أو التأكيد معنى آخر مثل ابن عاشور. لكن جل المفسرين تناقلوا ما ذكره من سبقهم فاتحدت تفسيراتهم[1]. وسبب هذا الاضطراب وهذا الاختلاف في تحديد معاني مثل هذه الزيادات بدقة في رأيي هو أن معاني تلك الصيغ ليست قطعية الدلالة بل هي ظنية الدلالة، وقد جعلها الله كذلك لحكمة بالغة، وذلك لأن يدعو عباده إلى مزيد من التفكر والاجتهاد في اكتشاف معاني الآيات عامة وتلك الصيغ خاصة، والقرآن الكريم كتاب معجز لا تنتهي عجائبه، فلا عجب أن نجتهد نحن كما اجتهد علماؤنا من قبلنا لنصل إلى معاني إعجازية تضيف تأويلات جديدة تخدم تفسير كتاب الله.

وقد وقع الاختيار على صيغة " استفعل " لدراسة بعض معانيها التي قد يتوهم أنها لم تضف على أصل الفعل شيئًا، وأبدأ باسم الله الرحمن الرحيم.

المزيد على الثلاثي بثلاثة أحرف:

للمزيد على الثلاثي أربعة أوزان هي[2]:

1- استفعل: نحو: استغفر

2- افْعَوْعَلَ: نحو: اعشوشبَ

3- افْعالَّ: نحو: اشهابَّ

4- افْعَوَّلَ: نحو: اجلوَّذَ[3]

وما يهمني من هذه الأوزان هنا هو " استفعل " مدار البحث.

استفعل

ذكر ابن عصفور[4] أن استفعل «تكون متعدية وغير متعدية. فالمتعدية نحو: استحسنتُ الشيءَ. وغير المتعدية نحو: استقدمَ واستأخرَ. وتكون مبنية من فعل متعد وغير متعد. فالمبنية من متعد نحو: استعصمَ واستعلمَ، هما مبنيان من: عَصَمَ وعَلِمَ. والمبنية من غير المتعدي نحو: استحسنَ واستقبحَ، هما مبنيان من حَسُنَ وقَبُحَ».

معانيها: إن زيادة الهمزة والسين والتاء تجيء لأغراض عدة، بعضها يكون واضحا كالدلالة على الطلب، وبعضها أقل وضوحا، وبعضها لا يكاد يلحظ لكنه ـ في القرآن ـ موجود حتمًا، ومن تلك الأغراض المبالغة أو التأكيد، إلا أنه لا ينبغي الاتكاء عليهما في كل موضع[5] لأن المبالغة أو التأكيد غرض عام يساوي في مدلوله قولك: "زيادة المبنى زيادة في المعنى". والمبالغة زيادة بلا شك، لكن علينا ألا نلجأ إلى الاقتصار على المبالغة إلا إذا عجزنا عن القبض على دلالة أخرى إلى جانبها. ولأن لهذه الصيغة بالذات معاني أخرى غير تلك التي حصرها علماء الصرف في كتبهم، ودليل ذلك قول الرضي[6]: «وقد يجيء لمعان أخر غير مضبوطة». وقول ابن يعيش[7]: «والغالب على هذا الباب الطلب والإصابة، وما عدا ذينك فإنه يحفظ حفظًا، ولا يقاس عليه».

وبناء على ذلك سأحاول استنباط تلك المعاني الإضافية التي تفيدها استفعل ضمن السياق القرآني الذي وردت فيه من خلال اجتهادي وبذل أقصى ما أستطيع عسى أن يعينني المولى جل في علاه على استجلاء تلك المعاني الأخر التي بلا شك ستكشف لنا عن جوانب إعجازية جديدة في هذا القرآن الذي لا تنتهي عجائبه.

1- الطلب: من المعروف أن أولى معاني استفعل: الطلب، وهو إما حقيقي (صريح)، نحو: استغفر، واستعان، واستطعم، واستعتب، واستعطى، واستعطف، واستوهب... إلخ. بمعنى: طلب المغفرة والعون والطعام...

أو مجازي (تقديري)، وهو كما تقول[8]: «أستخرجُ النكتَ، وأستنبط المسائلَ، فإنه بمعنى: أطلب خروج النكت من نفسي، وأسألها نبوط المسائل بالتلطف والرفق». ونحو[9]: استرفع الخِوانُ[10]، واسترمَّ البناءُ، واسترقع الثوبُ.

ونحو[11]: استخرجت الذهب من المعدن، سميت الممارسة في إخراجه، والاجتهاد في الحصول عليه طلبًا، حيث لا يمكن الطلب الحقيقي.

قال سيبويه[12]: «وأما استحقه فإنه يكون طلب حقه، وأما استخفه فإنه يقول طلب خفته. وكذلك استعمله أي طلب إليه العمل، وكذلك استعجلت، ومر مستعجلًا، أي مر طالبًا ذاك من نفسه متكلفًا إياه».

وأمثلة الطلب في القرآن كثيرة، منها:

فَلْيستأذنوا، استأذن: في قوله تعالى[13]: {وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيم}

أي فليطلبوا الإذن... وقد أشار الراغب في مفرداته إلى معنى الطلب هذا، فقال[14]: «والاستئذان: طلب الإذن».

تستأنسوا: في قوله تعالى[15]: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا

عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون}.
قال الراغب[16]: «أي: تجدوا إيناسًا». وأرى أن الأنسب لمعنى الآية طلب الإيناس لا إيجاده، لأن الاستئناس في اللغة الاستئذان[17].
قال ابن عاشور[18]: «ومعنى "تستأنسوا" تطلبوا الأنس بكم أي تطلبوا أن يأنس بكم صاحب البيت، وأنسه به بانتفاء الوحشة والكراهية. وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان، أي أن يستأذن الداخل، أي يطلب إذنًا من شأنه ألا يكون معه استيحاش رب المنزل بالداخل. قال ابن وهب، قال مالك: الاستئناس فيما نرى ـ والله أعلم ـ: الاستئذان». ومن أمثلة المجازي:
استخرجها، وتستخرجوا:
في قوله تعالى[19]: {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ}.
وفي قوله تعالى[20]: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}.
يرى ابن عاشور[21] أن «الاستخراج: كثرة الإخراج فالسين والتاء للتأكيد مثل: استجاب لمعنى أجاب». وكأنه بتمثيله لاستجاب يشير إلى أن الزيادة في "استخرج" بمعنى المجرد! ولا أرى ذلك بل أرى أن معنى الزيادة في الآية الأولى هي الطلب المجازي كما هو رأي الحملاوي الذي ذكرته سابقًا. وفي الآية الثانية يمكن أن نضيف إلى معنى الطلب المجازي معنى آخر، وهو التكلف، أي أنكم تتكلفون وتجهدون أنفسكم في طلب الإخراج.
استهوته:
في قوله تعالى[22]: {قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ}.
قال الراغب[23]: «أي: حملته على اتباع الهوى». وقال ابن عاشور[24]: «"الاستهواء": استفعال، أي طلب هوى المرء ومحبته، أي استجلاب هوى المرء إلى شيء يحاوله المستجلِب». ورأى أبو علي الفارسي أنه بمعنى همزة التعدية، فقال[25]: «استهواه بمعنى أهواه مثل استزل بمعنى أزل». وذلك لأنه حمله على أنه من الهوي، أي ألقته في هوة[26]. وفي رأيي أن زيادة الهمزة والسين والتاء هنا لتأدية معنى الطلب كما ذهب ابن عاشور.
ورأى الزمخشري[27] أنه استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها، كأن معناه: طلبت هويه وحرصت عليه.
ولم يرتض هذا ابن عاشور، فقال[28]: «ولا يعرف هذا المعنى من كلام أئمة اللغة، ولم يذكره هو في الأساس مع كونه ذكر: "كالذي استهوته الشياطين"، ولم ينبه على هذا من جاء بعده، والعرب يقولون: استهوته الشياطين، إذا اختطفت الجن عقله فسيرته كما تريد. وذلك قريب من قولهم: سحرتْه». لكن الملاحظ أنه سواء أكان أصل "استهوى" من الهَوى أم من الهُوي أن الزيادة فيه للطلب، وهو ما لم يختلف فيه العلماء.
استنصره: قال تعالى[29]: {فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِين}.
قال الراغب[30]: «والاستنصار: طلب النصرة»... وغيرها كثير[31].
وهذه الأمثلة ونحوها معنى الطلب فيها واضح، لا يحتاج إلى أدنى جهد من التفكير، لكن هناك أمثلة أخرى وردت في القرآن على هذه الصيغة لم يقف عليها العلماء بتأمل يمكن أن ندرسها ونستشف منها معنى الطلب، من ذلك:

استزلهم:
في قوله تعالى(32): {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ}، إذ اختلف العلماء في تفسير معنى الزيادة في الفعل: (استزلهم)، فذهب بعضهم(33) إلى أنها بمعنى الطلب، أي طلب منهم الزلل ودعاهم إليه، ورأى بعضهم(34) أن لا معنى للطلب هنا، لأنه لا يلزم من الطلب حصوله، وإنما هي بمعنى أفعل، أي أزلهم الشيطان. ومن هذا الفريق(35) من رأى أن في معنى الزيادة هنا التأكيد كاستفاد واستبشر، وأنكر معنى الطلب لأن المقصود لومهم على وقوعهم في معصية الرسول فهو زلل واقع.
وما أراه أن معنى الطلب هنا وارد، بدليل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}، فواضح هنا أن الشيطان طلب من الضعفاء بمكره اتباعه ودعاهم إلى ذلك فاستجابوا لأمره، وإن كان معنى الطلب هنا مجازيًا، غير حقيقي. وكذلك الآية التي نحن بصددها، طلب الشيطان من العصاة الوقوع في الزلل فاستجابوا لطلبه.
ولا أراها بمعنى أزلهم تمامًا، لأن الشيطان لم يباشر الإزلال حقيقة وإنما هو يفعل أفعالا تسبب وقوعهم في الزلل، لذلك فمعنى الطلب غير المباشر وارد فيه. فلو قلنا مثلاً: ما فائدة الزيادة في "استعطف"؟ لقيل: الطلب. ولكن الاستعطاف قد يكون بطلب العطف مباشرة، وقد يكون بطريقة غير مباشرة كأن يبكي الطفل أو يظهر على نفسه وهيئته ما يوجب العطف، كذلك الشيطان إنما فعل أفعالا جعلتهم يزلون، كتزيين المعصية وإشغال المرء بالوساوس حتى يقع في الزلل، فكأنه بتصرفاته هذه يطلب منهم الزلل.
ورأى العلماء(36) أن "استفعل" قد تجيء بمعنى "أفعل"، وهذا يوهم القارئ أو الدارس أنها لا تفيد معنى جديدًا، ومثلوا لذلك بنحو: "استجاب وأجاب، استيقن وأيقن، استعجل وأعجل، استبلّ من المرض وأبلّ"، وغيرها. وما أراه أن مثل هذا الوهم قد يصدق على كلام البشر كما أشرت في المقدمة، أما في القرآن فلا أرى هذا الرأي دقيقًا؛ لأن الأصل أن تكون للزيادة دلالة معنوية؛ لذلك قالوا: "إن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى"، وقد ذكر الرضي أن الزيادة على الفعل لم تأتِ عبثًا، قال(37): «اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لا بد لزيادته من معنى، لأنها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا لمعنى كانت عبثًا، فإذا قيل مثلاً: إن "أقال" بمعنى "قال"، فذلك منهم تسامح في العبارة، وذلك على نحو ما يقال: إن الباء في{ كَفَى بِاللهِ} و" من " في {مَا مِنْ إِلَهٍ} زائدتان لما لم تفيدا فائدة زائدة في الكلام سوى تقرير المعنى الحاصل وتأكيده، فكذا لا بد في الهمزة في " أقالني " من التأكيد والمبالغة».
إذن، إن زيادة الهمزة والسين والتاء في القرآن لا بد أن تكون لدلالة مرادة مهما كانت يسيرة، أما هذه الدلالة فقد نهتدي إليها وقد لا نهتدي، أما القطع بأن لا فرق بين تلك الزيادة وبين الفعل المجرد منها فلا أراه إلا شططا. من ذلك مثلا:
أجاب واستجاب: وردتا في آيات كثيرة، منها:
{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(38)
{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ}(39)
{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ

يَرْشُدُون} (40)
فقد نجدهما في كلام البشر بمعنى واحد، لا سيما في العصور التي اعترى الخلل واللحن فيها اللسان العربي، أي أن الخلط إنما مرده إلى جهل أو قلة فصاحة أو عدم دقة، وهذا وارد في أفعال البشر وأقوالهم، وغير وارد فيما يصدر عن الله تعالى علوًا كبيرًا.
قال الراغب(41): «الاستجابة قيل: هي الإجابة، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له، لكن عبر به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها».
وإذا عدنا إلى كتب التفسير واللغة(42) وجدنا العلماء متفقين على أنهما بمعنى واحد، قال ابن عاشور(43): «"استجاب" بمعنى "أجاب" عند جمهور أئمة اللغة، فالسين والتاء للتأكيد مثل: استوقد واستخلص. وعن الفراء وعلي بن عيسى الربعي أن استجاب أخص من أجاب؛ لأن استجاب يقال لمن قَبِل ما دعي إليه، وأجاب أعم، فيقال لمن أجاب بالقبول بالرد». فالقول الذي نقله ابن عاشور عن الفراء وعلي يدل على أن من العلماء من فرق بينهما ووجد اختلافا وإن كان يسيرًا.
وممن فرق بينهما أيضًا العسكري في الفروق، قال(44): «وقولك: " أجاب " معناه فعل الإجابة، واستجاب: طلب أن يفعل الإجابة؛ لأن أصل الاستفعال لطلب الفعل، وصلح استجاب بمعنى أجاب؛ لأن المعنى فيه يؤول إلى شيء واحد، وذلك أن " استجاب" طلب الإجابة بقصده إليها، و" أجاب ": أوقع الإجابة بفعلها».
«وفرّق الرماني بين أجاب واستجاب بأن استجاب فيه قبول لما دعي إليه، قال: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} ، {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} ، وليس كذلك " أجاب "؛ لأنه قد يجيب بالمخالفة»(45). وفي البحر(46) «أن " أجاب " عام، و"استجاب" خاص في حصول المطلوب».
ويرى الشيخ الشعراوي(47) رحمه الله: «وهناك فارق بين " الاستجابة " و" الإجابة "؛ فـ " الاستجابة " هي: أن يجيبك من طلبت منه إلى ما طلبت ويحققه لك، و" الإجابة " هي: أن يجيبك من سألت ولو بالرفض لما تقول، وقد يكون الجواب ضد مطلوب ما سألت».
وإذا دققنا النظر في تلمس الفرق بين الفعلين وجدنا أن الفعل " أجاب " ومصدره " إجابة " يكثر استعمالهما في المواطن التي يكون فيها الرد سريعًا دون اقتضاء الإلحاح وكثرة السؤال، كقوله تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ}(48). فهنا لم يكن لدى المضطر متسع من الوقت لينتظر الغوث، وقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(49)، فاقتران القرب مع الإجابة في الآية يدل على سرعة الإجابة، وكذلك قول النبي في حق المسلم على المسلم: (وإذا دعاك فأجبْه)(50)، وهكذا في كثير من مثل هذه المواطن.
أما استجاب ومصدره استجابة فأكثر ما يستعملان عندما يكون الرد إما بعد حين، أو يكون بعد إلحاح في الطلب، نحو: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}(51)، والمقصود كثرة الدعاء والتضرع، وقوله تعالى: {فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(52)؛ لأنهم دعوا إلى الله مرارًا على لسان النبي . وتستعمل مع النفي، كأن يمنع مانع من الرد، نقول: " لا يُستجاب لدعوة المرتاب "، وقوله تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ}(53)، لأنه يتضمن أن الذين لا يسمعون لا يستجيبون.
أما الموقف الذي استشهد فيه بهذه الآية: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين}(54) فهو ليس كالمواقف في الآيات الأخرى التي ورد فيها " أجاب " دون زيادة، إذ لو طبقنا ما قلناه بشأن المواطن التي يكثر فيها " استجاب " على تلك الآية لوجدناه متحققًا، فالآية

نزلت في يوم بدر، ومن المؤكد أن دعاء النبي ﷺ والمؤمنين بالنصر وهزيمة أعداء الله واستغاثتهم لم يكن مبدؤها يوم المعركة، وإنما كان الدعاء يوم المعركة استمرارًا لما سبقه من دعاء سابق، كما أن تلك الاستغاثة كانت مناشدة الله عز وجل لينجز وعدًا سابقًا بهزيمة المشركين، كذلك مسألة الإلحاح متحققة في ذلك الموقف، فقد ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما نصه[55]: «روى الترمذي عن عمر بن الخطاب، قال: نظر نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلًا، فاستقبل القبلة، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين} فأمدّهم الله بالملائكة».

إذن، فالدعاء هنا لم يكن في موقف مباغت، ولم يخل من الإلحاح.

2- الصيرورة: من المعاني التي تفيدها "استفعل" الصيرورة، أي التحول من حال إلى حال، وهي إما حقيقة، نحو: استحجر الطين، واستحصن المُهْرُ: أي صار حَجَرًا وحِصانًا. أو مجازًا كما في المثل[56]: " إن البغاثَ بأرضنا يستنسرُ" أي يصير كالنَّسر في القوة. والبُغاث: طائر ضعيف الطيران، ومعناه: إن الضعيف بأرضنا يصير قويًا؛ لاستعانته بنا[57].

ومن أمثلته في القرآن:

يستخلفنهم، استخلف:

في قوله تعالى[58]: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}. قال الراغب[59]: «والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته؛ وإما لعجزه؛ وإما لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض"». ورأى ابن عاشور[60] أن «السين والتاء لتأكيد الفعل، مثل استجاب له، أي جعلهم أحرارا غالبين ومؤسسين ملكا في الأرض المقدسة».

وأرى أن معنى السين والتاء هنا هو الصيرورة[61]، أي: صيرهم خلفاء، وهذا المعنى يتضمنه قول ابن عاشور: "أي جعلهم أحرارا...".

3- الاتخاذ: ومن أمثلته: استعبد عبدًا، واستخدم خادمًا، واستأبى أبًا[62]، أي: اتخذ أبًا له. واستلأم[63]، أي: لَبِس لأمَة الحرب. ومن أمثلته في القرآن:

استأجره: في قوله تعالى[64]: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِين}. ذكر السيوطي[65] أن استفعل تأتي للاتخاذ، نحو: استعبد عبدًا واستأجر أجيرًا.

وأرى أن الزيادة قد تأتي في الفعل (استأجر) في بعض المواضع لمعنى الاتخاذ، لكنها في (استأجرْه) في الآية أقرب إلى الطلب الحقيقي كأن الفتاة قالت لأبيها: (اطلب منه أن يأجرك) ويؤيد هذا أن الأب قال له بعد ذلك (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَج) فهو هنا يطلب منه أن يأجره، على أن الاتخاذ ليس خطأ لأنه يصح معنى (اتخذْه أجيرًا) لكن السِّياق يرجح الطلب هنا ولا سيما أن اتخاذ موسى عليه السلام أجيرًا لم يحصل إلا بعد الطلب والموافقة أي أن الطلب سابق على الاتخاذ، والله أعلم.

أستخلصه: في قوله تعالى[66]: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي}.

أي أتخذه خالصًا لنفسي، قال الزمخشري(67): «يقال استخلصه واستخصه إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به».وذكر صاحب التحرير(68) أن «السين والتاء في " أستخلصه " للمبالغة. مثلها في استجاب واستأجر. والمعنى: أجعله خالصًا لنفسي أي خاصًا بي لا يشاركني فيه أحد، وهذا كناية عن شدة اتصاله به والعمل معه».

وكأن ابن عاشور يرى أن زيادة السين والتاء تفيد معنى عاما وهو المبالغة أو التأكيد، ثم هي بعد ذلك إما أن تفيد معنى خاصا إضافيا أو لا تفيد. وإلا فكيف جعل الزيادة هنا مثلها في استجاب، أي بمعنى المجرد كما ذكر في غير موضع، بل جعل الزيادة في "استأجر" مثلها في استجاب أيضا!!. ثم بعد ذلك يقول مبينًا المعنى: " أجعله خالصًا لنفسي.." فكلمة: "أجعله" هي في الواقع بمعنى: "أتخذه"، فكأنه يقصد ضمنيًا هذا المعنى وإن لم يصرح به، وقد جعله معنى خاصا إضافة إلى المعنى العام، وهو المبالغة والتأكيد، والله أعلم.

وذكر الشوكاني(69) أن «الاستخلاص: طلب خلوص الشيء من شوائب الشركة».

أي أنه جعلها للطلب. ولا أرى هذا المعنى في الآية، ولعله ذكر هذا المعنى على أنه عام، بعد أن ذكر المعنى الخاص للآية، وهو قوله(70): «أجعله خالصًا لي دون غيري، وقد كان قبل ذلك خالصًا للعزيز». ويقصد بالجعل هنا الاتخاذ(71)، والله أعلم.

4- اعتقاد صفة الشيء: ويسميه بعضهم: المصادفة والإصابة. ومن أمثلته: استعظمته: أي: اعتقدته عظيمًا، واستكرمته، واستصغرته، واستحسنته...إلخ.

فإن وجدته على صفة أصله كان استفعل للإصابة، نحو: استكرمته، أي أصبته كريما، واستجدته، أي وجدته جيدًا وكريمًا(72).

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الأمثلة التي تدل على هذا المعنى، وهي:

تستخفونها: في قوله تعالى(73): {وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ}.

قال أبو حيان(74): «ومعنى تستخفونها: تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل».

وقال الآلوسي(75): «أي تجدونها خفيفة سهلة المأخذ فالسين ليست للطلب بل للوجدان كأحمدته: وجدته محمودا»

وقال ابن عاشور(76): «السين والتاء في " تستخفونها " للوجدان، أي تجدونها خفيفة، أي خفيفة المحمل حين ترحلون، إذ يسهل نقضها من مواضعها وطيها وحملها على الرواحل، وحين تنيخون إناخة الإقامة في الموضع المنتقل إليه، فيسهل ضربها وتوثيقها في الأرض». فمعنى الزيادة هنا هو الإصابة، أي وجود الشيء على صفة أصله وليس الاعتقاد. ورأى عضيمة في المغني(77) أن مما ورد في القرآن بالمعنى الأول، أي الاعتقاد: قوله تعالى(78): {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}. أي اعتقدت أنفسهم أنها موقنة بذلك، لكن الحقيقة خلاف ذلك. ورأى في الدراسات(79) أنها بمعنى: (تَفَعَّلَ).

وأرى أن الزيادة هنا أفادت استمرار اليقين وثباته ورسوخه، وأفادت أيضا معنى الطلب، أي الطلب المجازي، كأن أنفسهم تريد اليقين وتطلبه في هذه الآيات وهم يكابرون ويجحدون بها مخالفين ما تطلبه أنفسهم.

استكبر، استكبروا: في قوله تعالى(80): {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى

وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين}، وقوله[81]: {فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا}.
قال الرضي[82]: «واستكبر وتكبر: أي اعتقد في نفسه أنها كبيرة».
ويرى أبو حيان أن معنى الزيادة في "استكبر" هو الطلب، أو أنها بمعنى (فَعِلَ)، أو لموافقة (تَفَعَّلَ)، قال[83]: «و"استكبروا": طلبوا الهيبة لأنفسهم، وهو من الكبر، فيكون استفعل للطلب وهو بابها، أو تكون استفعل بمعنى فعل، أي كبروا لكثرة المال والجاه، فيكون مثل: عجب واستعجب». وقال أيضا[84]: «وأما استفحل الخطب، فاستفعل فيه موافقة لتفعل، أي: تفحل الخطب نحو: استكبر وتكبر».
ورأى الحملاوي أنٍ في "استكبر" معنى القوة، وقد استفرد بهذا الرأي وبهذا المعنى الذي أضافه لمعاني استفعل ممثلا له باستُهْتِر[85] واستكبر، فقال[86]: «أي قوي هِتره وكبره».
ولعل الزيادة في "استُهتِر" تقبل هذا المعنى، لأن الولوع بالشيء والإفراط فيه يقبل معنى القوة. أما الزيادة في "استكبر" فلعلها تقبل معنى القوة في التركيب البشري، ولكنها في رأيي لا تقبل هذا المعنى في تركيب البيان الإلهي، لأن البشر يطلقون على سيد القوم أو صاحب المنصب والمكانة كلمة كبير، فسيد القوم تعني كبيرهم، فإذا قلنا إنه استكبر وهو في الأصل كبير بالمعنى النسبي، فكأن الزيادة هنا تعني أنه قوي كبره أو أفرط في الكبر حتى تجاوز حد حجمه كمخلوق بشري. أما الزيادة في "استكبر" التي يصف بها البيان الإلهي عباده الضعفاء فلا شك أن معناها يختلف عن ذاك المعنى، فاستكبار العبد مع كونه ضعيفًا، لأنه عبد مملوك لله، لا يملك من أمره شيئًا، تعني أنه اعتقد نفسه كبيرًا، وهو ليس كذلك، كما قال جل وعلا: (أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[87]، أي اعتقد وظن نفسه غنيًا أو خُيّل إليه ذلك. فالاستكبار هنا معناه توهم الكبر. وبناء على هذا أرى ما يراه الرضي في معنى الزيادة في استكبر لأنه يتوافق مع المعنى المراد في القرآن، أما المعنى الذي ذكره الحملاوي فهو معنى عام لا أراه متوافقًا مع المعنى المراد في القرآن.
فمعنى الزيادة في استكبر هنا: اعتقد نفسه كبيرًا كما ذهب الرضي، والله أعلم.
5- مطاوعة "أفعلَ": ومن أمثلته: أحكمته فاستحكم، وأرحته فاستراح، وأقمته فاستقام[88]. ومن أمثلته في القرآن:
يستبشرون، فاستبشروا: في قوله تعالى[89]: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. وقوله[90]: { فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}، وقوله[91]: {ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَة}.
قال ابن عاشور[92]: «والاستبشار: أثر البشرى في النفس فالسين والتاء للتأكيد مثل استعجم». أي أنه يرى أن معنى الزيادة هنا عام، وهو إفادة التأكيد، وليس لهذا الفعل معنى خاص إضافي يميزه من غيره. وأود الإشارة هنا إلى أن استعماله التأكيد تارة والمبالغة تارة أخرى لا يؤخذ عليه؛ لأن المبالغة والتأكيد قد يلتقيان، فالمبالغة تعني الكثرة، وقد تعني الإلحاح، وفي الكثرة والتكرار والإلحاح نوع من التأكيد.
وقال أبو حيان[93]: «قال ابن عطية[94]: "وليست استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البشارة، بل هي بمعنى: استغنى الله واستمجد المرخ والعفار". انتهى كلامه. أما قوله: ليست بمعنى طلب البشارة فصحيح. وأما قوله: بل هي بمعنى: استغنى الله واستمجد المرخ والعفار، فيعني أنها تكون بمعنى الفعل المجرد، كاستغنى بمعنى غني، واستمجد بمعنى مجد. ونقل أنه يقال: بشِر الرجل بكسر الشين،

فيكون استبشر بمعناه. ولا يتعين هذا المعنى، بل يجوز أن يكون مطاوعًا لأفعل، وهو الأظهر، أي: أبشره الله فاستبشر، كقولهم: أكانه فاستكان، وأشلاه فاستشلى، وأراحه فاستراح، وأحكمه فاستحكم، وأكنه فاستكنّ، وأمرّه فاستمرّ، وهو كثير. وإنما كان هذا الأظهر هنا، لأنه من حيث المطاوعة يكون منفعلًا عن غيره، فحصلت له البشرى بإبشار الله له بذلك. ولا يلزم هذا المعنى إذا كان بمعنى المجرد، لأنه لا يدل على المطاوعة».

والغريب أن أبا حيان نفسه الذي أنكر على ابن عطية قوله أن استبشر بمعنى الفعل المجرد، ورأى أن معنى الزيادة في الفعل المطاوعة نجده في موضع آخر يتفق مع ابن عطية فيما ذهب إليه، فيقول في معنى "استبشروا" في قوله تعالى: { فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}: «وليست استفعل هنا للطلب، بل هي بمعنى أفعل كاستوقد وأوقد»[95]. أي بمعنى الفعل المجرد من الزيادة، فهل يعني هذا الاختلاف أن معنى استبشروا هنا يختلف عن معنى يستبشرون هناك؟!

قبل أن أبين رأيي في معنى الزيادة في "استبشر" أود الإشارة إلى أن البشر والبشارة كليهما فيه معنى الفرح والسرور، إلا أن البشر هو بمعنى الفرح نفسه، والبشارة الأمر المفرح أو الخبر السار[96]. وعليه إنما تفيد الزيادة في "استبشر" معنى الطلب غالبًا إذا كان الفعل متعديًا[97] أي له مفعول به مثل " استبشرتُ الغلامَ بدينار " أي سألته البشارة بدينار. وواضح أن الفعل في الآيتين ليس على هذا المعنى، وإنما أفادت الزيادة الفائدة العامة وهي الدلالة على المعالجة وهي هنا تحديث النفس وتبشيرها بالفرح المنتظر والبشر، فهم في الآية الأولى لما رأوا النعيم أخذ كل منهم يبشر نفسه بأهله وذريته الصالحين إذ إن لهم مثل ما له من النعيم، وفي الآية الثانية نجد الله تعالى يأمرهم بأن يبشروا أنفسهم بثواب ذلك البيع، وهذا فيه مطاوعة على نحو قولي: " أعد الرجل نفسه للأمر، أراح الرجل نفسه " فإذا زدت الهمزة والسين والتاء استغنيت عن المفعول واكتفيت بالفاعل " استعد الرجل، استراح الرجل "، وقد ورد الاستبشار بهذا المعنى في غير الآيتين، مثل قوله تعالى: {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِين} وقوله: {وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُون}، وقوله: {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُون}. فمعنى " يستبشرون " في كل ما سبق هو "يبشرون أنفسهم"، وهذا ما قصده أبو حيان، والله أعلم.

وقد تحتمل أيضا تبشير النفس مع المبالغة في البشر، إلا إذا كانت للطلب كالمثال " استبشرتُ الغلامَ بدينار "، ونحو هذا. على أنه أحيانًا قد لا يظهر الطلب ولا تبشير النفس وإنما يفهم من الزيادة المبالغة في البشر والفرح فحسب، وذلك في نحو قوله: {ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَة}.

6- للإغناء عن المجرد: أي للدلالة على عدم ورود ثلاثي مجرد له بمعناه، نحو قوله تعالى[98]: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}، وقوله[99]: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلّهِ}. لعلهم أرادوا بالإغناء عن المجرد هنا أن العرب اقتصرت غالبًا على استعمال الفعلين "استحيا، استنكف" مزيدين، ولم تستعملهما مجردين أحيانا ومزيدين أحيانا أخرى في دائرة المعنى نفسه، بغض النظر عن الزيادة المعنوية، ومثل ذلك: تكلّم، حدّث، تحدّث، فالزيادة فيما سبق لم تفد زيادة في المعنى على المجرد؛ لأن المجرد مهمل أصلًا، وإن استعمل فإنما يستعمل لمعنى آخر، ولكن هذا يختلف عن " أخرج، استخرج "، " نصر، انتصر، استنصر "، فهنا المجرد والمزيد يدوران في معنى مشترك، وإن أفادت الزيادة زيادة في المعنى إلا أنها في إطار المعنى الأساس.

لكن هناك أفعال جاءت في القرآن على استفعل عد العلماء بعضها بمعنى الثلاثي المجرد، وبعضها

بمعنى تفعل، وبعضها بمعنى افتعل. أي أن السين والتاء لم يزيدا على الفعل أي معنى إضافي. وفي رأيي إن هذه الأفعال إذا تأملها الدارس وتفكر فيها بتأن وروية يرى أن لها معاني إعجازية رائعة، لكنها في معظمها غير واضحة كما هي في غيرها، حتى إن بعضها قد يحتمل أكثر من معنى كما سيتبين، ومن هذه الأفعال:

استقاموا:

في قوله تعالى[100]: {فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينِ}

قال الراغب[101]: «استقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم». وقال أبو حيان[102]: «استقام: استفعل بمعنى الفعل المجرد من الزوائد، وهذا أحد معاني استفعل، وهو أن يكون بمعنى الفعل المجرد، وهو قام، والقيام هو الانتصاب والاستواء من غير اعوجاج».

وقال ابن عاشور[103]: «الاستقامة: حقيقتها عدم الاعوجاج، والسين والتاء للمبالغة، مثل: استجاب واستحب، وإذا قام الشيء انطلقت قامته ولم يكن فيه اعوجاج».

أرى أنه قد يصح هنا أن تكون الزيادة للمبالغة في الفعل استقم، كما ذكر صاحب التحرير والتنوير، لكن يمكن أن تدل الزيادة مع المبالغة على شيء آخر هو معنى " أقِمْ نفسك، أي على الحق " وهذا لا يعني أني أقول: إن " استقام " بمعنى " أقام " تمامًا، لأن بينهما فرقا، هو أن " أقام " متعد يحتاج إلى مفعول، و" استقام " هنا يؤدي معناه دون الحاجة إلى المفعول، وهذا يصلح حينما يكون مفعول " أقام " ونحوه هو كلمة " نفس" أي نفس الفاعل، ومنه: " استعلى، استلقى، استرخى..."، فهي بمعنى " أعلى نفسَه، ألقى نفسَه، أرخى نفسَه..."، لكن الهمزة والسين والتاء أغنتنا عن ذكر المفعول به "نفس"، وصار اللازم " استعلى " محققًا لمعنى المتعدي " أعلى " بدون حاجة إلى مفعول.

وهناك فرق آخر بين استقام وقام، وهو أن استقام يزيد على قام بأنه يدل على الاستمرار والثبات وتأكيد القيام والاعتدال، كما في قرّ واستقرّ.

(نستدرجهم): في قوله تعالى[104]: {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون} قال الراغب[105]: «والدرج: طي الكتاب والثوب، ويقال للمطوي: درج. واستعير الدرج للموت، كما استعير الطي له في قولهم: طوته المنية، وقولهم: من دب ودرج، أي: من كان حيا فمشى، ومن مات فطوى أحواله، وقوله: "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" قيل معناه: سنطويهم طي الكتاب، عبارة عن إغفالهم نحو: " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا"، وقيل: "سنستدرجهم" معناه: نأخذهم درجة فدرجة، وذلك إدناؤهم من الشيء شيئا فشيئا، كالمراقي والمنازل في ارتقائها ونزولها».

قال ابن عاشور[106]: «والاستدراج: استنزال الشيء من درجة إلى أخرى في مثل السلم، وكأن أصل السين والتاء فيه للطلب، أي محاولة التدرج، أي التنقل في الدرج والقرينة تدل على إرادة النزول، إذ التنقل في الدرج يكون صعودا ونزولا، ثم شاع إطلاقه على معاملة حسنة لمسيء إلى إبان مقدر عند حلوله عقابه».

ولا أرى "نستدرجهم" بمعنى الثلاثي المجرد تماما، وإن كان بينهما اشتراك في المعنى العام، لكن المجرد إذا استعمل بهذا المعنى فإنه غالبا يكون لازما، يقال: "درج فلان في كذا" أو "على كذا"، ويزاد بالتضعيف، ويزاد بالهمز أيضا بمعان متقاربة. أما الزيادة بالهمزة والسين والتاء فإني أوافق ما ذهب إليه ابن عاشور، غير أني أود الإشارة إلى أن معنى الطلب هنا ليس طلبا مباشرا مثل: "استطعم، استعان"، ذلك أن الاستدراج إنما يستعمل غالبا بصحبة أمرين: أحدهما الانتقال التدريجي

درجة درجة من حال إلى أخرى، فهو لا يتم دفعة واحدة، والآخر أن المستدرِج (الفاعل) لا يباشر عملية النقل بنفسه، وإنما يتخذ إجراءات يغلب عليها الحكمة أو الدهاء ليجعلَ المستدرَج (المفعول به) يقوم بالانتقال التدريجي دون أن يشعر، وهذا الانتقال يكون وفق إرادة المستدرِج وفي الاتجاه الذي يريده. وهنا يتضح الفرق بين (درج) و(أدرجتُه) و(استدرجته)، فالأول درج بفعلِه هو بناء على قراره ولا علاقة لإرادتي فيه، والثاني درج بفعلي أنا بناء على قراري بدون إرادته هو، والثالث درج بفعله هو بناء على قراره وإرادته الظاهرية لكنه في حقيقة الأمر لم يعلم أنه درج بفعله لكن وفق إرادتي التي يسير لتحقيقها دون أن يشعر.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة لمعاني استفعل في القرآن نصل إلى أن الزيادة في أبنية الأفعال في القرآن الكريم لا يمكن أن تكون من دون فائدة مهما صغرت تلك الفائدة، ومن هذه الفوائد ما يكون جليًا كالدلالة على الطلب في مثل: ''استنصر، استعان'' وغيرها، ومنها ما لا يكون واضحًا، مثل الأفعال التي جعل معظم المفسرين الزيادة فيها بمعنى المجرد أو الإغناء عن المجرد، وتبين لنا بعد الدراسة والتأمل أنها تفيد معاني أخرى غير مضبوطة ـ كما ذكر الرضي ـ بل قد تحتمل الزيادة أحيانًا أكثر من معنى، وعرفنا أن قصدهم بالإغناء عن المجرد أن العرب اقتصرت غالبًا على استعمال بعض الأفعال مزيدة، ولم تستعملها مجردة أحيانًا ومزيدة أحيانًا أخرى في دائرة المعنى نفسه، بغض النظر عن الزيادة المعنوية، مثل: ''استنكف واستحيا''، فالزيادة فيما سبق لم تفد زيادة في المعنى على المجرد؛ لأن المجرد مهمل أصلًا. أما سائر الأفعال التي جعل المفسرون الزيادة فيها بمعنى المجرد، مثل: ''استوقد واستجاب'' وغيرها فلا ينطبق على كتاب الله البتة، وأن معنى التأكيد أو المبالغة الذي ذكره ابن عاشور في أغلب تفسيره لتلك الزيادة التي عدها غيره بمعنى المجرد إنما قصد به المعنى العام، فإذا هُدي إلى المعنى الخاص أضافه وإلا فلا، وأن خروج ابن عاشور عن سنن غيره من المفسرين في تسمية تلك الزيادة بالإغناء عن المجرد ومحاولته تلمس معنى جديد يختلف عنه دليل على عدم اقتناعه بمناسبة هذا المعنى على الزيادة في القرآن، وأنه لا بد من فتح باب الاجتهاد في استنباط أسرار معاني تلك الكلمات الإعجازية كما أكدت ذلك في البحث.

المصادر والمراجع

كتاب: الأستراباذي، رضي الدين. (1982). شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية.

كتاب: الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد. (1996). مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط1، دمشق، دار القلم.

كتاب: الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق د. السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران، القاهرة، دار الحديث.

كتاب: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. (1998) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي.

كتاب: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. (1992). البحر المحيط، بيروت، دار الفكر.
كتاب: الأندلسي، ابن عطية محمد بن علي. (2001). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام محمد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
كتاب: ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1954). المنصف شرح تصريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط1، مصر، مطبعة البابي الحلبي.
كتاب: الحملاوي، أحمد. (1999). شذا العرف في فن الصرف، ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية، ط2، دمشق، مكتبة دار البيروتي.
كتاب: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (1998). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان.
كتاب: ابن السراج، محمد بن السري. (1999). الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة.
كتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي.
كتاب: السيوطي، جلال الدين.(1990). أسباب النزول، طبعة مصححة ومقابلة بعناية د. بديع اللحام، ط1، بيروت، دار الهجرة.
- كتاب: السيوطي، جلال الدين. (1980).همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية.
كتاب: الشعراوي، تفسير الشعراوي، محمد متولي، أخبار اليوم.
كتاب: الشوكاني، محمد بن علي. (1998). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط2، دمشق، دار الكلم الطيب.
كتاب: ابن عاشور، محمد الطاهر. (2000). التحرير والتنوير، ط1، بيروت، مؤسسة التاريخ.
كتاب: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (1981) الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، بيروت، منشورات در الآفاق الجديدة.
كتاب: ابن عصفور، علي بن مؤمن. (1970). الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، حلب، المطبعة العربية.
كتاب: عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث.
كتاب: عضيمة، محمد عبد الخالق. (1999). المغني في تصريف الأفعال، ط2، القاهرة، دار الحديث.
كتاب: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن.(1980).المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، نشره جامعة الملك عبد العزيز.
كتاب: عياض، القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى. (1998). شرح صحيح مسلم، المسمى "إكمال المعلم بفوائد مسلم"، تحقيق د. يحيى إسماعيل، ط1، المنصورة، دار الوفاء.
كتاب: الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد. (1983). الحجة في علل القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح شلبي، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كتاب: القرطبي، أبو عبد الله محمد. (1993). الجامع لأحكام القرآن، قدم له الشيخ خليل الميس، راجعه صدقي جميل، خرج أحاديثه الشيخ عرفان العشا، دمشق، دار الفكر.
كتاب: ابن منظور، أبو بكر محمد بن عبيد الله. (1883). لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر.
كتاب: الميداني، أبو الفضل أحمد. (1972). مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد الميداني، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، دار الفكر.
كتاب: اليزدي، الخضر. (2008). شرح شافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق د. حسن أحمد العثمان، ط1، بيروت، مؤسسة الريان.
كتاب: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، القاهرة، مكتبة المتنبي.

الهوامش :

(1) سأفصل القول مع التوثيق لاحقًا في صلب البحث.
(2) انظر: ارتشاف الضرب 177، وهمع الهوامع 6 / 28 وما بعدها، وشذا العرف 56
(3) اجلوّذَ: أسرع. لسان العرب (جلذ).
(4) الممتع 132
(5) كما فعل ابن عاشور في جل تفسيره لمعنى الزيادة في "استفعل" في كتابه التحرير والتنوير، ولعله أخذ هذا المعنى من الرضي الذي سأنقله لاحقًا، فظن أن هذا المعنى ينسحب على كل زيادة ذكر العلماء أنها بمعنى المجرد، وسأذكر أقواله في موضعها.
(6) شرح شافية ابن الحاجب 1/ 112
(7) شرح المفصل لابن يعيش 7/ 161
(8) شرح شافية ابن الحاجب، للخضر اليزدي 1/ 230
(9) شرح شافية ابن الحاجب للرضي 1/ 111-110
(10) الخِوَان: الذي يؤكل عليه، معرّب. لسان العرب (خون).
(11) شذا العرف 68
(12) الكتاب 4/ 70
(13) النور 24 / 59
(14) مفردات ألفاظ القرآن (أذن).
(15) النور 24/ 27
(16) مفردات ألفاظ القرآن (أنس).
(17) لسان العرب (أنس).
(18) التحرير والتنوير 18/ 158
(19) يوسف 12/ 76
(20) النحل 16/ 14
(21) التحرير والتنوير 13/ 95
(22) الأنعام 6/ 71
(23) مفردات ألفاظ القرآن (هوى)
(24) التحرير والتنوير 6/ 162
(25) انظر الحجة في علل القراءات 3/ 325 بتصرف، والبحر المحيط 4/ 551
(26) البحر المحيط 4/ 551
(27) الكشاف 2/ 363
(28) التحرير والتنوير 6/ 162
(29) القصص 28/ 18.
(30) مفردات ألفاظ القرآن (نصر)
(31) أي من الأمثلة التي وردت في القرآن تدل على معنى الطلب، انظر دراسات لأسلوب القرآن

الكريم 1/ 656
(32) آل عمران 3/ 155.
(33) الكشاف 1/ 645، وروح المعاني 4/ 430
(34) البحر المحيط 3/ 398
(35) التحرير والتنوير 3/ 261262
(36) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد 2/ 606
(37) شرح شافية ابن الحاجب للرضي 1/ 83
(38) البقرة 2/ 186
(39) آل عمران 3/ 195
(40) البقرة 2/ 186
(41) مفردات ألفاظ القرآن (جوب).
(42) انظر: لسان العرب (جوب)، والبحر المحيط 3/ 476، والجامع لأحكام القرآن 1/ 292
(43) التحرير والتنوير 3/ 313
(44) الفروق في اللغة 217
(45) البحر المحيط 4/ 498
(46) البحر المحيط 3/ 472
(47) تفسير الشعراوي 6/ 3603
(48) النمل 27/ 62
(49) البقرة 2/ 186
(50) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في شرح صحيح مسلم 7/ 47، كتاب السلام، باب (من حق المسلم للمسلم رد السلام)، رقم (5778)
(51) غافر40/60
(52) البقرة 2/ 186
(53) الأنعام 6/ 36
(54) الأنفال 8/ 9
(55) أسباب النزول للسيوطي 174
(56) مجمع الأمثال للميداني 1/ 10
(57) شذا العرف 69
(58) النور 24 / 55
(59) مفردات ألفاظ القرآن (خلف)
(60) التحرير والتنوير 8/ 247
(61) وقد رأى ذلك أيضًا الشيخ عضيمة في دراسات لأسلوب القرآن 1/ 656
(62) المساعد على تسهيل الفوائد 2/ 606
(63) شرح شافية ابن الحاجب 1/ 111، وانظر لسان العرب (لئم).
(64) القصص 28 / 26

(65) همع الهوامع 6/ 28، وانظر دراسات لأسلوب القرآن 1/ 656
(66) يوسف 12 / 54
(67) الكشاف 3/ 299
(68) التحرير والتنوير 12/ 80
(69) فتح القدير 3/ 42
(70) نفسه 3/ 42
(71) انظر دراسات لأسلوب القرآن 1/ 656
(72) الكتاب 3/239، وشرح المفصل لابن يعيش 7/161، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي 1/111، والمنصف 1/ 77، والممتع في التصريف 132، والمساعد على تسهيل الفوائد 2/ 606، والأصول في النحو، 3/128، وانظر دراسات لأسلوب القرآن 1/ 656
(73) النحل 16 / 80
(74) البحر المحيط 6/ 576، وانظر الكشاف 3/ 459
(75) روح المعاني 14/ 595
(76) التحرير والتنوير 13/ 192
(77) المغني في تصريف الأفعال 151
(78) النمل 27 / 14
(79) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 656
(80) البقرة 2 / 34
(81) إبراهيم 14 / 21
(82) شرح شافية ابن الحاجب للرضي 1/ 106
(83) البحر المحيط 5/ 94، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن 1/685
(84) البحر المحيط 6/ 272، وانظر دراسات لأسلوب القرآن 1/ 685
(85) في لسان العرب (هتر): (الهَتْرُ مَزْقُ العِرْضِ هَتَرَه يَهْتِرُه هَتْرًا وهَتَّرَه ورجل مُسْتَهْتَرٌ لا يبالي ما قيل فيه ولا ما قيل له ولا ما شُتِمَ به... وأَما الاسْتِهْتارُ فهو الوُلوعُ بالشيء والإِفراط فيه حتى كأَنه أَهْتِرَ أَي خَرِف... وقولٌ هِتْرٌ كَذِبٌ والهِتْرُ بالكسر السَّقَطُ من الكلام والخطأُ فيه).
(86) شذا العرف 69
(87) العلق 96/ 7
(88) المساعد على تسهيل الفوائد 2/ 606، وارتشاف الضرب 179180، والهمع 2/ 606
(89) آل عمران 3 / 170
(90) التوبة 9 / 111
(91) عبس 80 / 39
(92) التحرير والتنوير 10/ 233
(93) البحر المحيط 3/ 431
(94) المحرر الوجيز 3/ 421
(95) البحر المحيط 5/ 510

(96) انظر مفردات ألفاظ القرآن (بشر)، ولسان العرب (بشر).
(97) الفعل "استبشر" يأتي لازمًا ومتعديًا، قال الراغب: (وأبشر يكون لازمًا ومتعديًا، يقال: بشرته فأبشر، أي: استبشر، وأبشرته) مفردات ألفاظ القرآن (بشر).
(98) البقرة 2 / 26
(99) النساء 4 / 172
(100) التوبة 9 / 7
(101) مفردات ألفاظ القرآن (قوم).
(102) البحر المحيط 1/ 45
(103) التحرير والتنوير 11/ 167
(104) الأعراف 7 / 182
(105) مفردات ألفاظ القرآن (درج).
(106) التحرير والتنوير 29/ 94

Meanings of (Istafil) in the Qur'an Karim

Dr. Malath Zoulikha
Faculty of Arts - Damascus University
Damascus - Syria

Abstract

This study discusses an important issue concerning the possible meanings of the syntactic pattern (istaf'ala) in the Holy Quran. It shows that while some of the meanings of this pattern are fairly explicit, others may be implicit thus requiring a greater effort to infer. The latter have been referred to by Arab syntacticians and scholars of jurisprudence as "the enriched forms". The study has also shown that the rule which states that "an increase in form should indicate an additional meaning" applies consistently to all lexical items and syntactic patterns used in the Quran due to the miraculous nature of this holy book. Such an issue requires further investigation to dig out the hidden meanings in those forms.